أنيس الجليس

الجزء الخامس — السنة العاشرة
{ الاسكندرية في ٣١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٧ }
{ الموافق ١٩ ربيع ثاني سنة ١٣٢٥ }

المرأة والخمر

قد يكون فيما بين المرأة والخمر مشابهات من وجوه وذلك من حيث ما يجتمع فيها من الرقة والخشونة وما يحدث عنها من تغيير الاخلاق والطباع ومن حيث اقتيادها الناس الى المعصية حيناً والتكرم والبذل حيناً ومن حيث كثرة الاختلاف فيها اذا كانت محض ضرر او محض خير او ما بينهما بل من حيث كل حالة تقريباً لان المرأة حيرت الباب الرجال كما حيرت الخمر الباب كل الشاربين

الا ان الرجال قد ظلموا المرأة كثيراً اذ ميزوها بالضرر والاذية وسائر متعلقات الشر ولهذا يقولون في امثالهم الشائعة حين حدوث كل مكروه « فتشوا عن المرأة » وهو قول غريب وتهمة اغرب لانه حين يحدث ذاك المكروه لا يكون واقعاً بين امرأة وامرأة او بين نساء ونساء

بل يكون واقعاً بين امرأة ورجل او بين رجال ونساء فلماذا يصح ان تنفرد هي وحدها بكون ذاك المكروه قد جاء منها ولا يكون قد جاء منه ايضاً بل كيف يصح ان تميز بذلك دونه مع ان السبب منها ومنه بالسواء بل هو لدى الشرع احق منها باحتمال القسط الاوفر من ذاك السبب لان لها من كل شيء نصف الحظ. ان هذا في الحقيقة لعجيب

ان المرأة لا تميز بالشر الا حين تستغوي الرجل وتدعي مودته كذباً قصد سلبه او الاستظهار عليه او تدعي المودة لكثيرين في زمن واحد قصد الاستفادة او التغالي بتعلق الكثيرين بها ولكن هذه الحالات انما تنطبق على فآت معلومة من النساء فلا يصح بوجه ان تطلق على المرأة بمطلق نوعها واخلاقها لانها من جهة اخرى تعد معدن الرحمة والحنو والرفق والحب الصادق الاكيد الذي يدوم بدوام مسبباته من الرجل على حين يوجد بين كل فآت الرجال من يستغوون العذارى ويخدعونهن ويكذبون عليهن ويطلقونهن لادنى علة فالاولى مع هذه الاخلاق فيهم ان يقال في كل خطب فتشوا عن الرجل لانه السبب الاصلي والدافع الاول ولكن الرجل لظلمه ولاعتباره المرأة ليس لها ما له وان عليها اكثر مما عليه مما يدعوه الى القاء التبعة عليها اكثر منه كما هي الحال بين مخدومي الرجال وخدامهم فان للخادم ان يقوم بكل عمله بالدقة وليس للمخدوم ذلك اذ ليس من يحاسبه ويلقي عليه تبعة تقصير وبهذا التشبيه تمتنع المساواة بين الرجل والمرأة امتناعاً كبيراً وتبتعد المسافة بعداً شاسعاً فيبدو ذنبها ولا يبدو ذنبه كما يبدو ذنب الخادم اذا تأخر عن وقته عدة دقائق ولا يبدو ذنب المخدوم ولو تأخر اياماً. فاذا كان الناس يعتقدون ان هذا هو الواجب على المرأة فقد اعتقدوا انها خادمة

وليست مساوية وظهر ظلمهم كل الظهور بل ظهر ان ظلماً ما يقولونه وهو فتشوا عن المرأة واما اذا كان الرجل يدعي لها المساواة بالفعل كما يدعيها الان كذباً بالقول فالحق ان يقال فتشوا عن الرجل اولا او فتشوا عن الرجل والمرأه معاً بالاقل . فقتل الرجل على هذا ما اكفره

ولقد شاع عن المرأة من قديم الدهر اشتهارها بالخيانة وهو ما فندناه قبلاً وذكرنا قتصاره على البعض دون الكل كما ذكرنا سببه ووجه العذر فيه مما هو موجود لدى كل الرجال دون بعضهم واما الخيانة المادية فان المرأة ابعد عنها جداً من الرجل حتى لا شبهة في ذلك ولا جدال بل هو مما يبدو من التقاويم التي لا تنكر لانها جاءت من اصدق الحكومات وسجلت بعد الاستقرار الدقيق فلقد ذكروا عن تقاويم جمعيات الامانة المنتشرة في الولايات المتحدة انه قد ظهر فيها من اعمال النساء الموظفات كالرجال في الاعمال المتفرقة ان الرجل كان ابعد عن المرأة بمراحل من جهة الامانة حتى اوشكت ان تختص بها وحدها بل ظهر ان كل مختلس ومزور كان رجلا على الاطلاق الا في حالات نادرة جداً وقد ذكروا عن النساء الصرافات في المحلات العمومية ان المرأة التي كانت تسرق الصندوق كان يقابلها مئة سارق من الرجال فتأمل . ولهذا اعتمد اصحاب الاعمال على استخدام النساء لحراسة صناديق الاموال وصرف النقود وقبضها وفضلوهن على الرجال تفضيلا

هذا ولقد ظهر من التقويم بين سنتي ١٩٠٥ و١٩٠٦ ان الخيانة زادت في الولايات المتحدة بالسنة الاخيرة خمسين بالمئة اي انها تضاعفت من الرجال وحدهم . فسبحانهم اذلا شركاء لهم . اما شرور الرجال الاخرى فليطالعها المتثبت من سجلات المحاكم والسجون وتقاويم المقاصل والمشانق فانه يسقط

هناك على الخبير ويرى حين يفتش على المرأة انه لا يرى الا رجالا . لما الخمر التي قيل انها حيرت الناس كالمرأة فحقاً لقد حيرتهم فان للاطباء فيها كل يوم حديثا وكل ساعة بحثاً وفي كل بلدة رأياً ولوكان هذا صادراً من الرجال المتفلسفين واصحاب البراهين المنطيقية لما اعتد به احد ولكنه صادر من الاطباء ورجال الخبرة والتحليل ومعرفة النتائج ومقدار الوقع والتأثير ثم انهم مختلفون فيها جداً كاختلاف العدم والوجود والليل والنهار فالبعض وهو من اكابرهم واولي التحقيق منهم يقول انه لا حاجة بها على الاطلاق وانها سم والبعض يقول انها سم ولكن تناوله باعتدال مما لا يضر وقال البعض بل انه ينفع وخالفهم البعض جداً فقال انه ليس فيها ضرر بالاطلاق بل ان فيها كل النفع وقد جاء على ذلك ببرهان سديد فانه نظر الى انكلترا وايرلند واسكوتلندا فظهر له ان اهلها اشد اهل الارض ميلاً الى الخمور واكثرهم استهلاكاً لها بكل طبقاتهم واعمارهم ولكنه وجد الشعب الانكليزي بمطلق جنسه ومكانه وهو احسن شعوب الارض صحة وقد وضح له من هذا انه لو كانت الخمر سماً او بعض سم لكان من المحال ان يحيي هذا الشعب تلك الحياة مع هذه الصحة فالخمر اذن دواء او غذاء نافع وليست سماً كما يقولون او هي لدى تحليلها وتأثيرها في بداءة الشرب سم ولكنه ينقلب الى غير سم فيصير غذاء صالحاً

ولقد افرط احد الاطباء ولا ندري اذا كان اعتقاده افراطاً او لا فقال ان الخمر اقل ضرراً من الشاي والقهوة وقد راع قوله كثيرين من الساعين في منع المسكرات وخافوا ان يسد عليهم سبلهم ولكن قائل هذا القول طبيب مشهور مسموع النصيحة فلا بد ان يكون لقوله تأثير يعم الجميع .

ثم قال ايضاً انها ضرورية في المدن بشرط ان تؤخذ باعتدال ونافعة لارباب الوحدة والمنقطعين عن العمل لانها تقوم لهم مقام التسلية فتسر نفوسهم ومتى سرّت النفس سرّ معها الجسد فاشتد ونما . ولا يبعد ان تكون هذه الاقوال كلها صواباً الا اذا قام برهان آخر يناقضها من حيث انفراد الانكليز بجودة الصحة كأن يبرهن مثلا ان هواء بلادهم اجود من سواه او انهم يحبون النظافة اكثر من غيرهم او ان طعامهم اشد تغذية او ساعات راحاتهم اكثر او نحو هذا ولكن الظاهر ان تأثير الخمر ليس في الحد الذي يتوهمه الاكثرون لان ثلث سكان الارض يشربون باعتدال ونحو ربعهم يسكرون والناس مع ذلك ينمون ويكثرون ويشتدون صحة وعقلاً فليشرب اذن كل انسان ويتكل على الله

﴿ عواقب الغلاء ﴾

يظهر ان غلاء الاشياء الذي اشرنا اليه مرة وكان مما يتفكه بذكره سيغدو من الامور التي تضطرب لها الدنيا ليس لان الغلاء بمطلق حالاته مما يقتضي ذلك بل لانه غلاء مضطرب اسرع فيه ظهور اشياء جديدة لم تكن في الحسبان فقضت بغلاء بعض الضرورات غلاء شديداً كالجلد مثلاً فانه اذا استمر على غلائه بسبب انتشار المركبات السيارة الى الحد الذي نراه فقد يغلو ثمن الحذاء الى حد يتضايق له الفقير جداً ومثل ذلك النحاس والحديد والفحم مما يعد في حد الضروريات كالدقيق واللحم